رأي القدس

غزة تحتاج قوات دولية ايضا

■ استشهد تسعة فلسطينيين يوم امس برصاص القناصة الاسرائيليين ونيران دباباتهم في الضفة والقطاع، جميعهم من المدنيين، وبينهم طفل، حيث باتت عمليات القتل الاسرائيلية روتينا يوميا يتم وسط صمت عربي ودولي.

القوات الاسرائيلية تشن هجمات متواصلة على قطاع غزة منذ شهرين، في محاولة لاجبار خاطفي الجندي الاسرائيلي الاسير على اطلاق سراحه دون اي شروط.

الاحصاءات الرسمية تقول ان اكثر من اربعمئة شهيد سقطوا منذ انسحاب اسرائيل من قطاع غزة، وان مئتي شخص منهم قتلوا في الشهرين الماضيين فقط من بينهم 44 طفلا، هذا علاوة على مئات الجرحى.

قطاع غزة يواجه حاليا حصارا عسكريا ونفسيا واقتصاديا، وتعتيما اعلاميا، بعضه مقصود، وبعضه غير مقصود بسبب اهتمام معظم وسائل الاعلام العالمية بالعدوان الاسرائيلي الاخير على لبنان.

الفارق بين العدوانين، اي في لبنان وفلسطين، يتمثل في صدور قرار عن مجلس الامن الدولي بوقف الاعمال الحربية وارسال قوات مراقبة دولية الى لبنان لترابط على الحدود، بينما لا توجد مثل هذه القوات في قطاع غزة بسبب الرفض الاسرائيلي المطلق.

قطاع غزة يتحول الى سجن كبير تملك اسرائيل مفاتيحه، حيث تغلق كل المعابر المؤدية اليه، الامر الذي ادى الى نقص في كل انواع الامدادات، الغذائية منها قبل الطبية، حتى ان مولدات المستشفيات باتت مهددة بالتوقف بسبب النقص الكبير في المازوت. كل يوم تستقبل المستشفيات في القطاع الشهداء والجرحى، ويصارع العاملون فيها من اطباء وممرضين للتعامل مع هذه الازمة الانسانية، ولكن غالبا ما تأتي محاولاتهم محكومة بالاحباط، حيث لا ماء ولا كهرباء ولا ادوية، ولا رواتب لشراء الطعام لاطفالهم.

ايهود اولمرت رئيس الوزراء الاسرائيلي يحاول ان يعوض هزيمته في جنوب لبنان على ايدي مقاتلي حزب الله، بارتكاب اكبر قدر ممكن من المجازر في حق الفلسطينيين العزل المحاصرين في قطاع غزة تحت ذريعة الافراج عن الجندي الاسير. انه يتصرف مثل النمر الجريح، يأمر جنرالاته الذين عجزوا عن مواجهة حركة مقاومة منظمة، رغم تسليحهم الحديث والمتقدم بافتراس اكبر عدد ممكن من الفلسطينيين العزل، ويقول انه لن يوقف الحصار وعمليات القتل، حتى يتوقف اطلاق الصواريخ على المدن والمستوطنات الجنوبية، ويتم الافراج عن الجندي الاسير.

حتى الحيوانات المفترسة تتوقف عن اعمال القتل عندما تشبع ولكن القوات الاسرائيلية لا تشبع من ازهاق ارواح الفلسطينيين ودمائهم، وتتصرف وكأنها فوق كل القوانين والاعراف، ولا تخشى مطلقا من العقاب لانها تستند الى دعم امريكي، عسكري ودبلوماسي، غير محدود.

السيد كوفي عنان امين عام الامم المتحدة تحدث عن الحصار الاسرائيلي للبنان، مثلما تحدث عن الحصار الاسرائيلي لقطاع غزة وطالب برفعهما فورا، والعودة الى العملية السلمية، ولكن مطالباته هذه لن تجد اذانا صاغية، سواء في اسرائيل او في الولايات المتحدة الامريكية.

السيدة كوندوليزا رايس وزيرة الخارجية الامريكية تتحدث عن شرق اوسط جديد، وامانيها هذه ربما تتحقق ولكن على عكس ما تريد. فأي شرق اوسط جديد سينشأ سيكون مختلفا، وربما بدون اسرائيل الحالية التي تصعد من عدوانها ومجازرها وحصاراتها، وبما يؤكد لاكثر المعتدلين اعتدالا استحالة التعايش مع دولة تعتمد مثل هذه السياسات الدموية.

الصورة العربية المنقسمة على ذاتها

د. بشير موسى نافع *

■ ليس ثمة أمة تعيش حالة من الانقسام كتلك التي يعيشها العرب اليوم: شعوب عربية تموج بحيوية غير مسبوقة بينما يخيم على دولها الجمود وفقدان الذاكرة والعجز عن المبادرة، ثروات تتدفق بمستويات غير متوقعة وفساد يتخلل كل مناحي الحياة، يعطل امكانات النمو الصحي ويحول المجتمعات العربية الى كيانات استهلاكية وأسواق للمنتجات الأجنبية، عقول عربية مبدعة في كافة المجالات والمواقع ومناخ تعليمي وثقافي رسمي محبط وباعث على التحلل والانحطاط، استبسال لم يعرفه التاريخ الحديث في مواجهة قوى عالمية عاتية في ناحية، وتهاون ورعب وتواطؤ في ناحية. ولكن افتراقاً لا يكاد يفرض نفسه على الصورة العربية كالافتراق بين الوضع اللبناني ـ الفلسطيني، من جهة، والوضع العراقي، من جهة أخرى.

يعيش الفلسطينيون دماراً يومياً لمصادر معاشهم وسكنهم وللحياة نفسها، كما أوقع بمدن وقرى لبنانية خلال حرب الأسابيع الخمسة دمار يفوق ما يتعرض له قطاع غزة. هذا الدمار والموت الذي تنشره آلة الحرب الاسرائيلية في البلدين العربيين يجد دعماً غير محدود من الادارة الامريكية ومن عدد من القوى الاوروبية. ولكن الفلسطينيين واللبنانيين يقاومون الغزاة كما يجدر بكل شعب يتعرض للعدوان ان يقاوم. وبالرغم من الخلافات بين القوى السياسية الفلسطينية واللبنانية فقد التفت قطاعات واسعة من الشعبين حول هدف الصمود في وجه الغزاة ومقاومة العدوان. لم تفلح محاولات أيقاع الشقاق بين فتح وحماس في اشعال حرب فلسطينية أهلية، كما لم تفلح الاتهامات الموجهة لحزب الله بالتحالف مع سورية وايران وخدمة مصالحهما في اذكاء الصراع اللبناني الداخلي، بالرغم من معارضة زعامات لبنانية مختلفة الأوزان لحزب الله. وعبر طول المنطقة العربية وعرضها، يجد الفلسطينيون واللبنانيون دعماً عربياً شعبياً لم تضعفه سنوات الصراع الطويلة، ولا الفتاوى الساعية الى اذكاء الخلافات السنية ـ الشيعية. في لبنان، كما في فلسطين، يدرك العرب والمسلمون معنى التضحيات التي تقدم، يرون الخط الفاصل بين الحق والباطل، ويفهمون العلاقة الوثيقة التي تربطهم، مهما ابتعدت بلدانهم، بالصراع على فلسطين ولبنان.

يعيش العراق هو الآخر دماراً يومياً، بل ان الدمار الذي يشهده العراق بدأ منذ مطلع التسعينات، واستمر على نحو أو آخر طوال السنوات التالية. وربما يصعب اليوم ان يتنبأ أحد ما بنهاية الأزمة الطاحنة التي تعصف بالعراق وشعبه. أكثر هذا الدمار والموت قامت وتقوم به قوات الاحتلال الأجنبي للعراق، ولكن جزءا كبيراً منه ترتكبه قوى عراقية تتعدى النطق باسم العراقيين. وقد انقسم العراق على نفسه كما لم ينقسم في تاريخه كله. مقاومون للاحتلال يواجههم عملاء وحلفاء للاحتلال. سنة او شيعة وأكراد يعيشون رعباً دائماً من بعضهم البعض. بلد من أكثر بلدان المنطقة غنى وثراء يتحول الى نهب للصوص في كافة مراتب الحكم. دولة أقيمت باسم القضاء على الظلم واحتكار السلطة والخوف، تصبح تجسيداً للظلم واحتكار السلطة ومصدراً لا حدود له للخوف. الذين يدعون أنهم ممثلو أكثرية العراقيين يعملون ليل نهار على تقسيم العراق. مساجد تدمر باسم الاسلام أو حقوق هذه الطائفة أو تلك. عراقيون يخطفون على الهوية ويقتلون في أبشع صور القتل التي يمكن (أو ربما لا يمكن) تصورها. في عراق اليوم، لا حرمة للحياة ولا للدين ولا للعشيرة ورابطة الدم، ولا حرمة للوطن الذي يدعي كل طرف انه الأحرص على بقائه وازدهاره. هذا هو عراق ما بعد صدام حسين، العراق الحر الديمقراطي، عراق المثال الأمريكي الذي كان يستوجب على شعوب المنطقة ودولها استلهامه.

وكما ينقسم العراق على ذاته، ينقسم العرب حوله. مثقفون وكتاب وعلماء شيعة تعميهم الرابطة الطائفية فلا يرون عمق الكارثة التي جلبها رفاقهم في الطائفة على العراق. ومثقفون وكتاب لبيراليون تعميهم النوازع الأيديولوجية فلا يرون هول الجحيم الذي جاءت به مرجعياتهم الغربية. اسلاميون لا يريدون تأمل الهاوية التي هبط اليها اسلاميو العراق، ويساريون لا يصدقون كيف تحول شيوعيو العراق الى أدوات للاحتلال. الدول التي سهلت غزو العراق واحتلاله تسكنها خشية متصاعدة من نفوذ ايران، الجارة الاسلامية الكبرى، وليس من عشرات الألوف من قوات الاحتلال الأجنبية. وخلف ذلك كله، يقف الملايين من العرب وقد أثقل كاهلهم انقسام العراقيين، فذهبوا هم أيضاً الى الانقسام. ما يكاد يذكر العراق حتى ينقلب الاجماع على فلسطين ولبنان الى صراع محموم، لا يعرف فيه حق ولا باطل. هذا العراق، المنقسم على ذاته والباعث لانقسام العرب، لم يأت من صدفة تاريخية، لم تفجره في وجه أهله ووجه العرب نوايا حسنة لم يحالفها الحظ. هذا العراق هو مسؤولية الذين غزوه بلا مبرر، ومن أعطوا لانفسهم الحق في التآمر على مصيره ومصير شعبه، ومن يصدقون اليوم انهم باتوا حكاماً بينما انهار دماء شعبهم تجري تحت أقدامهم.

هذا العراق هو أولاً مسؤولية هذه الادارة الامريكية، التي قررت استخدام بلاد العرب ساحة لتجارب اطلاق النار واستعراض القوة وتكريس نظام عالمي امبراطوري. كل المبررات التي وظفت لبناء رأي عام أمريكي مساند لغزو العراق كانت ملفقة، كلها على الاطلاق. ومن وظفوها، يوماً بعد الآخر، مؤتمراً صحافياً بعد الآخر، ومقالة بعد الأخرى، كانوا يعرفون أنها مبررات ملفقة. أما الرأي العام العالمي، أما القانون الدولي، أما الأمم المتحدة، فلم تكن تعني الكثير. بغداد كانت بالنسبة لهم حجر الأساس في نظام امبراطوري جديد، ترسم فيه صورة جديدة للعالم وعلاقات قواه، يعرف فيه العرب والمسلمون أنفسهم ليس كما عرفوا أنفسهم عبر القرون ولكن كما يقال ويحدد ويقرر لهم. لم يكن الجهل بالعراق هو من دفع ادارة الاحتلال بناء دولة العراق المحتل على أسس طائفية وعرقية، بل الدراية بالعراق. هذا العراق، العربي الكردي السني الشيعي التركماني الكلداني الآشوري اليزيدي، هو العراق الجديد، هو المثال الذي كان ستلحقه سورية جديدة ومصر جديدة وسعودية جديدة وسودان جديد. ولكن الحقيقة ان ادارة الاحتلال لم تكن هي المشكلة، فالمحتل الأجنبي هو في النهاية محتل أجنبي. المشكلة كانت فيمن ادعوا أنهم عراقيون، وأن لهم الحق في الحديث باسم العراقيين.

حفنة السياسيين الفاشلين الذين زحفوا الى العراق في أعقاب طوابير دبابات الاحتلال هم من يحمل المسؤولية الأكبر عن ما شهده العراق منذ 2003 وحتى اليوم. بعضهم كان شريكاً أساسياً في بناء النظام الطائفي العرقي الانقسامي، بعضهم ذهب أبعد من ذلك وطلب ويطالب بانقسام جغرافي فعلي للوطن، بعضهم لحق بركب الاحتلال والطائفية كما كل الطموحين الصغار، وكلهم وظف نفسه لتبرير الاحتلال واستمراره. حاولوا في البداية اللعب على كل الحبال بالقول «ان للمقاومة سبلا متعددة»، وكأنهم كانوا ينتوون المقاومة. ولكن حبل الكذب قصير، كما يقول العرب، وما كانت الا برهة حتى بدأ التشكيك بالمقاومة، بهويتها، بأهدافها، وحتى بعراقيتها. كان تورط الطارئين على العراق مع الاحتلال قد مضى بعيداً، وبمفاجأة المحتلين بحجم المقاومة وقدرتها على الصمود أمام حملات الابادة الوحشية التي تعرضت لها بغداد وسامراء والفلوجة وحديثة والقائم، لم لدى سادة الاحتلال سعة صدر كافية لتقبل المواقف المزدوجة ولغة النفاق الركيكة التي تحدث بها سياسيو المنطقة الخضراء من العراقيين الجدد. وانطلقت من ثم نغمة واحدة من اتهام المقاومين بالارهاب والتكفيرية والأجنبية بعد ان سقطت اتهامات الصدامية والبعثية. وكانت التنظيمات الطارئة هي في الحقيقة من بدأ الارهاب. ثمة ارهابيون بالفعل يتسترون بستار المقاومة، ولكن هؤلاء ما كانوا ليتورطوا في دماء العراقيين لولا ان العصابات الحزبية الطائفية والانقسامية انطلقت تحت ظل الحراب الأجنبية، ومنذ الأيام الأولى للاحتلال، لاغتيال ضباط الجيش السابقين، أساتذة الجامعات، العلماء السنة، وشيوخ القبائل العربية.

وسرعان ما أدرك بؤساء العراقيين الجدد ان العراق أكبر منهم، وأنهم غير مؤهلين ولا أكفاء ولا جديرين بحكمه. وولدت بالتالي فكرة التقسيم، التي يعرف دعاتها انها تجد صدى في أوساط أصدقائهم الخلص في واشنطن. باسم حقوق الأكراد، أسست الأحزاب الكردية التي لم يجف الدم الكردي على يديها بعد لشرعية وجودها وسيطرتها على المحافظات الكردية، وأطلقت الفتنة من عنانها في كركوك والموصل. وباسم مظلومية شيعية مخترعة تحاول أحزاب طائفية تأسيس شرعية وجودها وسيطرتها على جنوب العراق، وأطلقت هي الأخرى فتنة لا أول لها ولا آخر من بغداد الى البصرة. ويعرف العراقيون الأكراد والشيعة، كما العراقيون جميعاً، انه ما ان يتاح لهؤلاء تحقيق أهدافهم في تقسيم العراق حتى يلغوا في دماء الأكراد والشيعة. وما على العراقيين الا النظر الى الصراع اليومي الدموي على السلطة والنفط والثروة في مدينة البصرة بين ميليشيات المتحدثين باسم الشيعة ليروا ما يدخره هؤلاء لشيعة الجنوب.

والمدهش ان أحداً من هؤلاء لم يتعلم الدرس. بعض الذين هبطوا في سواد العراق من الطائرات المروحية الامريكية المسلحة لفظهم العراقيون والامريكيون معاً. ما استطاعوا الحصول على أصوات عائلاتهم في الانتخابات، وما ساعدهم حلفاؤهم الأمريكيون على تزييف صناديق الاقتراع. أما أولئك الذين نجحوا في ابتزاز العراقيين بدعاوى حماية الطائفة ومصالحها، وساعدتهم وسائل التزييف وفتاوى مرجعية دينية خرقاء وقصيرة النظر، ما كان بامكانهم الحكم ولا حتى البقاء في جمهورية المنطقة الخضراء بدون دعم قوى الاحتلال. وعندما قالت واشنطن لا فهي لا. ولم يكن مستغرباً، حتى منذ السنة الأولى على الاحتلال، ان تبدأ فلول الخائبين بالعودة الى لندن وعمان وباريس، حيث ولدت لديهم أوهام السيطرة على العراق لأول مرة. ولكن درس الفشل والخيبة لا يتعلمه الفاشلون والخائبون من تجارب الآخرين، لا يدرك الفاشلون والخائبون حجم اخفاقهم حتى يلمسوه بأيديهم. وهذا ما يطيل من آلام العراق ومحنته.

بيد ان الأكثر مدعاة للدهشة هو مشروع المصالحة الذي يدعو له حكام جمهورية المنطقة الخضراء. الذين وضعوا دستور العراق مسودة للتقسيم والتطهير الطائفي والعرقي، الذين حولوا وزارة الداخلية الى شبكة من مراكز التعذيب وفرق الاغتيالات، الذين نهبوا خلال أقل من أربع سنوات أكثر من عشرة مليارات من أموال العراق، الذين شردوا أكثر من ثلاثة ملايين من العراقيين من وطنهم، وأطلقوا ميليشيات فرق الموت لتقتل العراقيين على الهوية، الذين شرعوا السيطرة على المساجد ويخططون لاجلاء مئات الألوف من العائلات عن قراها ومساكن آبائها وأجدادها، يعملون اليوم على تحقيق مصالحة وطنية؟ هؤلاء بالطبع لا يملكون شرعية تحقيق المصالحة، وليس لديهم أصلاً أدنى نية لتحقيق المصالحة. كل ما يسعون اليه هو انجاز مهمة تقسيم العراق وتدمير اجتماعه وهويته الوطنية بدون ان يلتفت العرب والمسلمون والعالم لحجم الكارثة التي جروا العراق والعراقيين اليها. هؤلاء في الحقيقة هم جوهر المشكلة لا أداة الحل. ولن ينهض العراق من جديد، لن يبدأ في استعادة عافيته وذاته من جديد، الا بعد ان يتخلص منهم، ومن أحزابهم، وميليشياتهم، ودستورهم، والنظام الطائفي العرقي البشع الذي يحاولون زراعته في سواد العراق.

* كاتب وباحث عربي في التاريخ الحديث

المواجهة بين السودان والولايات المتحدة في اقليم دارفور

د. يوسف نور عوض *

على تقويتها بكون أهدافها في المنطقة ترتكز على اضعاف النفوذ العربي الاسلامي، وذلك هدف رئيسي عند الادارات الأمريكية المتعاقبة بعد الحرب الباردة.

ولا نريد أن نرسم من خلال ذلك استراتيجية لمواجهة هذا الواقع لأن هذا ليس شأننا ولأن معظم الدول في المنطقة العربية لا تريد مواجهة وهي راضية بتحالفها مع النفوذ الأمريكي الاسرائيلي وعلى استعداد لأن تتحمل الخسائر اذا كان ذلك سيوفر عليها الدخول في مواجهة مع الولايات المتحدة، وقد ظهر ذلك جليا خلال حرب لبنان الأخيرة حيث وقفت الدول العربية تتفرج على دولة عربية عضو في الجامعة العربية وهي تخضع لعملية تدمير شاملة يقوم بها الجيش الاسرائيلي، وعندما تصدى لبنان وانتصر في مواجهته معتمدا على قدراته الخاصة بدأت بعض الدول تتظاهر بتغيير مواقفها كما عرضت اسرائيل رغبة في مواصلة المباحثات مع سورية والهدف في النهاية هو فك الارتباط بين سورية وايران. ولا شك أن المحاولة الاسرائيلية واحدة من المحاولات الخائبة التي تدل على سذاجة سياسية بكونها تتفادى الاجابة على الوضع السياسي المعقد في الشرق الأوسط وتغامر بأعمال تتطلب هناك اصلا نية لحل المشكلات.

وفي هذا الاطار نرى أن الولايات المتحدة لم تقدر سياستها في السودان على اسس سليمة ذلك أن ما تريد تحقيقه في هذا البلد لا يتعلق بالسودان وحده بل يأتي في اطار الاستراتيجية الأمريكية الاسرائيلية الشاملة في الشرق الأوسط والتي تستهدف اضعاف الدول العربية من خلال تحريك الصراعات والتجزئة وهي استراتيجية لا تستثني مصر التي تؤجل الولايات المتحدة المواجهة الشاملة معها في الوقت الحاضر ولكنها تمهد للحظة الحسم في المستقبل القريب. ويبدو في ضوء ذلك أن مخطط تقسيم السودان لا ينفصل عن مخطط اضعاف مصر الذي يأتي في ضوء استراتيجية التقسيم الشاملة حيث ذكر الرئيس السوداني أن الولايات المتحدة تخطط لتقسيم مصر الى ثلاث دول واحدة للنوبة وأخرى للأقباط وثالثة لباقي المصريين. ولا شك أن الأمريكيين يعلمون أن حياة مصر تعتمد على مياه النيل وبالتالي فان خلق كيانات متصارعة ومتناحرة في السودان يؤدي في نهاية الأمر الى اضعاف الدولة المصرية خاصة أن الاطار المرسوم لدويلات السودان القادمة هو اطار عرقي وعنصري، بعد أن تبين جليا أن عمليات السلام الجارية في جنوب السودان وغربه والتي دعمتها الولايات المتحدة لا تستهدف في نهاية الأمر فض النزاعات وعيش الجميع في سلام بل هدفها خلق كيانات مستقلة تتنافس مع بعضها بعضا بطرق سلبية ويأتي في اطار ذلك موضوع ارسال قوات أممية الى اقليم دارفور اذ نرى في الوقت الذي يعلن فيه الرئيس السوداني أن حكومته لن تقبل ارسال تلك القوات فان قادة الحركة الشعبية لتحرير السودان في الجنوب وقادة الفصائل في اقليم دارفور لا يمانعون في مجيء تلك القوات بل ان بعض القادة المعارضين أيضا في الشمال مثل على محمود حسنين من الحزب الاتحادي الديمقراطي يبرر مجيئها تحت غطاء عربي واسلامي والهدف في النهاية هو احراج حكومة الانقاذ وادخالها في مواجهة مع المجتمع الدولي من أجل تحقيق أهداف سياسية دون النظر الى عواقب ذلك على المستوى الوطني الشامل.

ولا شك أن مجيء قوات أممية الى اقليم دارفور تحت البند السابع من ميثاق الأمم المتحدة هو انتهاك صارخ لسيادة السودان بكون هذه القوات لن تحل المشكلات بقدر ما تزعزع الأمن والاستقرار في البلاد بسبب ما تمتلكه من تفويض وصلاحيات كبيرة. خاصة أن هذه القوات تأتي في اطار ضغط أمريكي واستراتيجية تستهدف تصفية حسابات قديمة مع الحكومة السودانية. وربما أخطأ النظام السوداني في بادئ الأمر عندما قدم تنازلات للادارة الأمريكية بدعوى أن ذلك يحقق في الوقت ذاته مكاسب وطنية ولم يتنبه النظام الى أن الولايات المتحدة تعمل في اطار استراتيجية شاملة بعضها موجه نحو النظام الاسلامي في السودان وبعضها موجه نحو مصر.

وعلى الرغم من كل ذلك نرى أن السودان يطرب لخطاب التحدي وهو أمر تلح عليه الحكومة السودانية ولكن السؤال المهم هو هل يستطيع السودان حقا أن يصمد في مواجهة هذا التحدي؟

ذلك بالطبع يعتمد على عوامل كثيرة منها موقف الجيش والشرطة وتكويناتهما الجهوية وأيضا مواقف الحركات المعارضة سواء منها المتصالحة مع الحكومة في الجنوب والغرب أو المواقف الشعبية والحزبية التي ترى في الموقف كله فرصة للتخلص من حالة الفقر التي تعيش فيها أعداد كبيرة من أفراد الشعب السوداني ترى الثروات وقد اصبحت مركزة في ايدي قلة من رجال السلطة بينما الآلاف من خريجي ثلاثين جامعة يهيمون في الشوارع ويعملون سائقين لسيارات التاكسي والحافلات ولا أمل لهم في مستقبل يحقق طموحاتهم. ونعرف أن هذه الأغلبية الصامتة في الوقت الحاضر لن تكون صامتة الى الأبد وذلك ما يطرح تساؤلات مهمة، هل الظروف التي أتت بها الى السلطة ما زالت قائمة؟ وهل الشعارات التي رددتها في بياناتها الأولى ما زالت قابلة للتحقيق؟ وبدون الاجابة بصورة موضوعية على مثل هذه الاسئلة واتخاذ موقف وطني شامل منها فان الشعارات وخطابات التحدي لن تكون مجدية خاصة أن السودان يواجه قوى كبرى تتآمر عليه وهناك من بين أبنائه من لهم مصالح في التحالف مع هذه القوى الأجنبية، وبالتالي فاننا ننتهي الى أن المواجهة في دارفور لا تقتصر على شكلها الظاهر الذي هو مجيء قوات أجنبية تذكر بعهد الاستعمار القديم بكونها في جوهرها تمثل التحدي الحقيقي أمام شعب السودان في أن يؤسس دولة متحدة على اساس حديث أو أن تتفكك البلاد لتصبح دويلات بينها من المشاكل أكثر مما بينها من الانسجام ومواطن اللقاء، ولا ننكر أن هناك ظروفا عملية أدت الى هذا الواقع الذي فرضته ظروف تاريخية وليس من الانصاف تحميل أي جهة المسؤولية كاملة ولكن ذلك لا ينفي المسؤولية عند الذين بيدهم السلطة والذين يجب عليهم أن يبحثوا عن الخيار الأفضل من أجل ايجاد الحل الذي لن يكون بأي حال من الأحوال حلا ثنائيا. كما درجت عليه الحكومة في مباحثات الجنوب والغرب. ويجب هنا على الحكومة السودانية أن تفكر في استراتيجية شاملة للخروج من مأزق دارفور ليس فقط من أجل مواجهة الموقف الأمريكي بل من أجل ايجاد مخرج لمشكلات السودان كلها.

* كاتب من السودان

قضيتنا الوجودية مع الآخر

د. علي محمد فخرو

■ هناك تعبير مشهور للفيلسوف الوجودي الفرنسي سارتر من أن جحيم الفرد هم الآخرون. وهذا تعبير يصلح أن يكون تلخيصاً لمشكلة العرب الوجودية الكبرى عبر القرنين الماضيين مع الآخر، وهو الغرب الذي أذاقهم الجحيم وظلّ بلا انقطاع ينفخ في نيرانه.

لنتساءل، هل هناك مشكلة كبيرة مفصلية في حياة العرب لايد للغرب، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، اماً في خلقها أو في ابقائها حيةً مشتعلة أو في تعقيدها، بحيث تبقى هذه الأمة تدور حول نفسها، وبحيث يبقى التقدم وتبقى التنمية والنهضة ضيوفاً مدعوين دون أن يحضروا الوليمة قط؟ لنسأل:

1 ـ هذه المواجهة الحضارية العبثية التي يراد لها أن تكون بين أتباع الاسلام من جهة وأتباع المسيحية واليهودية من جهة أخرى، أليس الغرب هو مفجرها؟: في البدء كموجات عسكرية صليبيه أوروبية لاسترجاع القدس، وبعدها كاستعمار امبريالي جزاً وطن العرب، وآخرها كاستعمار استيطاني صهيوني في فلسطين ؟ أليس الآخر هو الذي استبدل العدو الشيوعي القديم بالعدو الاسلامي الجديد وأدلج ذلك الجنون فكراً وأدباً وفناً واعلاماً هستيرياً ليضع العرب والمسلمين في قفص الاتهام الأبدي ويلصق بهم التوحش والخطايا الأزلية؟

2 ـ أليس الغرب هو الذي اضطهد اليهود وتفجرت عبقريته عن ايديولوجيات النازية والحارق والغيتو ثم كفّر عن خطاياه بوضع تلك المشكلة في أحضان العرب ليبقوا عبر ستين سنة مكبلين بمشكلة هو خلقها، ومنهكين بمشكلة أكلت الأخضر واليابس وأجلّت كل استحقاقات النهوض والديمقراطية والتقدم العلمي؟ أليس الآخر هو الذي يساند بالمال والسلاح والتكنولوجيا والاعلام الكاذب الأحلام التوسعية والأساطير الصهيونية؟

3 ـ أليس الغرب هو الذي كذب حتى حدود الحقارة الأخلاقية ليحتل العراق وليدمر امكانياته وليمزّق كيانه السياسي وليحرم الأمة العربية من طاقاته الهائلة وليجعله الأمثولة الأولى في تطبيق هوس المغامرة الأصولية المسيحية الأمريكية من جهة وفي تدشين البناء الرأسمالي العولمي التوسعي المتوحش من جهة ثانية ؟ وهكذا، مثلما أنشغل العرب والمسلمين عبر ستين سنة والى سنين طويلة قادمة بتحمل أعباء القضية اليهودية التي كان هو سببها يسعى بكل حيلة لابقائهم مشغولين بقضية تضميد جراح العراق في عروبته وتعايش أهله السلمي وحداثته عبر سنين طويلة قادمة.

4 ـ أليس الغرب الآخر هو الذي بنى اقتصاداً تكنولوجياً هائلاً معتمداً اعتماداً كلياً على توفر طاقة بترولية رخيصة، متوفرة ومتزايدة باستمرار، وغير معرّضة لأي أخطار ليجد العرب أنفسهم وقد انقلبت ثروتهم البترولية الى مشكلة معقّدة دائمة في حياتهم؟ فهم يجب أن يستمروا في اكتشاف وضخ المزيد منه حتى لوكانت فوائض ريعه ستزيد عن حاجاتهم المالية الحالية، وهم يجب أن يعيدوا تدوير تلك الفوائض في الاقتصاد الغربي سلاحاً يشتري ولا يستعمل وأسهماً في بورصات تتأزم وتخسر وسندات حكومية تستعمل كادوات ابتزاز لاترحم ونمطاً معيشياً استهلاكياً نهماً لتشغيل ماكنة الانتاج عندهم. وهكذا أصبح استكشاف البترول العربي وتسويقه وتسعيره والاستفادة من ريعه مشكلة جحيمية في حياة العرب بسبب ارتباط كل ذلك باقتصاد ورفاهية واستراتيجيات الغرب.

5 ـ واليوم ينشغل هذا الآخر ويشحذ عبقريته لجعل لبنان قضية أزلية أخرى في حياة العرب لكي تمرّ السنون والعقود وقضية لبنان مصدر انشغال وانهاك دائمين.

مثلما يواجه فرد سارتر الآخرين فيبدأ الدخول في الجحيم نواجه نحن هذا الآخر، الذي لايستطيع أن يفهم مشاكلنا ولايريد أن يكون عادلاً معنا ولا يقتنع بأننا لا نريد تدمير حضارته ولا يعطينا الفرصة لنلتقط أنفاسنا لنفكر ونتصرّف بهدوء، فنعيش في جحيم مواجهة امكانياته العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية والاعلامية الهائلة. ومهما كانت أخطاؤنا ونقاط ضعفنا فان هذا الآخر يظل مذنباً بحقّنا عقوداً بعد عقود وقروناً بعد قرون حتى لو بقي يحلف مليون مرة بأنه بريء. المشاكل الوجودية لاتواجهها الاّ حلول وجودية وهي مايجب أن نفتش عنها لنخرج من هذا الجحيم.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط).
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637
email: ***alquds@alquds.co.uk*** * *Internet:* ***www.alquds.co.uk***
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN